بواعث الانكسار في شعر محمد بن عمار الأندلسي

انعام حميد ناصر
جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

أ.م.د. هادي طالب محسن العجيلي
دكتور/أستاذ مساعد
جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

البريد الإلكتروني Email : arabicbabylon@gmail.com

الكلمات المفتاحية: بواعث، الانكسار، بن عمار، الأندلسي.

كيفية اقتباس البحث
ناصر، انعام حميد، هادي طالب محسن العجيلي، بواعث الانكسار في شعر محمد بن عمار الأندلسي، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية،٢٠٢١،المجلد:١١ ،العدد:٢ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The motives of refraction in the poetry of Muhammad ibn Ammar al-Andalusi

Inaam Hameed Naser
University of Babylon / College of Education for Human Sciences / Department of Arabic Language

Hadi Talib Muhsin Al-Ajili
Doctor / Assistant Professor
University of Babylon / College of Education for Human Sciences / Department of Arabic Language

Keywords : Motivations, Refraction, Ben Ammar, Andalusian.

How To Cite This Article
Naser,Inaam Hameed,Hadi Talib Muhsin Al-Ajili, "The motives of refraction in the poetry of Muhammad ibn Ammar al-Andalusi", Journal Of Babylon Center For Humanities Studies,Year:2021,Volume:11,Issue2.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

The motivation to say poetry among the poets is variable and not fixed, according to the poet's psychological state, fluctuations and poetic moment, and according to the poet's environment and way of life, and the life situations that he faces in which he raises the desire to form his images and choose the word.

Here we are trying to discover the motives behind the production of the text in its language. In addition, standing on the phenomenon of refraction in the poetry of the poet Muhammad bin Ammar Al-Andalusi. This phenomenon has multiple motives that we tried to reach by extrapolating his poetic product.

Moreover, it seems that the motives for this breakdown are manifold and varied, as it may result from fear of the ruling authority at the time, alienation and homesickness due to being forced. In addition to the enemies and the intrigues and plots that surrounded him, which ultimately

killed him. Poverty and need were also a strong cause for breakdown because of the multiplicity of society in the era of Ibn Ammar and because he was from the deprived class, so he often resorted to begging in his poetry, unlike some of the poets of his time who were from the upper classes of society. In addition, imprisonment and being behind bars had both a motive and an emitter of refraction. As for the vicissitudes of time, they often irritate his feelings and remind him of the bliss of inferiority. In addition, the woman represented an emitter of refraction that differs from the rest of the emitters in his poetry. The poet was submitting, enjoying, and seeking this brokenness.

الخلاصة باللغة العربية

إن الباعث في قول الشعر متغير لا ثابت، وفقاً لحالة الشاعر النفسية وتقلباته ولحظته الشعرية، ووفقا لبيئة الشاعر وطريقة حياته، وما يعترض له من مواقف حياتية، تثير فيه رغبة تشكيل صوره واختيار الفاظه.

ونحن هنا نحاول اكتشاف البواعث التي كانت وراء انتاج النص، وكيف تجلى في لغته. والوقوف على ظاهرة الانكسار في شعر الشاعر محمد بن عمار الأندلسي، ولهذه الظاهرة بواعث متعددة، حاولنا الوصول إليها من خلال استقراء منتجه الشعري.

وعلى ما يبدو أن البواعث لهذا الانكسار متشعبة ومتباينة، فقد ينجم عن الخوف من السلطة الحاكمة آنذاك، والغربة والحنين إلى الوطن لكونه أرغم على مغادرته، فضلاً عن الأعداء وما كان يحيط به من دسائس ومؤامرات أودت بحياته في نهاية المطاف، وكان الفقر والحاجة باعث قوي للانكسار، لتعدد طبقات المجتمع في عصر ابن عمار ولكونه من الطبقة المحرومة، فكثيراً ما كان يلجأ للاستجداء في شعره على خلاف بعض شعراء عصره الذين هم من الطبقات العليا في المجتمع، وكان للسجن والركون خلف القضبان دافع وباعث من بواعث الانكسار، أما تقلبات الزمن فكثيرا ما تهيج مشاعره، وتذكره بنعيم القصور، أما المرأة فقد مثلت باعث للانكسار يختلف عن باقي البواعث، فالشاعر كان مستسلماً ومستمتعاً، وطالباً لهذا الانكسار.

المُقَــدِّمة

تُعدّ حضارة الأندلس إحدى أهم الحضارات التي شيدها العرب والمسلمون في قارة أوربا، فقد احتضنت في طياتها مجد لا ينسى، شهد لها التاريخ وتوقف عندها الزمن، ظلت شواخصها تعانق السماء إلى يومنا هذا، وأنتجت تلك الحضارة تراثاً أدبيا عظيما، لا يزال حتى اليوم مادة

خصبة للدارسين، وكما هو معلوم أن الحضارة العربية في الأندلس، كانت تمر في مراحل مضيئة، وأخرى قاتمة، قوية منتصرة، وضعيفة متخاذلة تارة أخرى، إلى أن زال النفوذ العربي الإسلامي من تلك البقعة، ومما جرى على الحكم العربي الإسلامي ودولة العرب في الأندلس وتقلبه، قد تشابه وانعكس على شخوصها، كذلك حال شاعرنا محمد بن عمار الأندلسي، الذي تقلب بين الرفعة والانكسار في مراحل حياته المختلفة، فترك لنا إرثا أدبيا زاخرا، عبر فيه الشاعر عن عاطفة صادقة ومشاعر جياشة، اكتوت بنيران الحرمان والخضوع والانكسار.

وقد وجدت بعض الدراسات التي تناولت الشاعر محمد بن عمار الأندلسي، وهي قليلة بالمقارنة مع أي شاعر من شعراء المشرق العربي، فالأدب الأندلسي لا يزال مادة خصبة للدراسة والبحث والتنقيب، ومن أبرز تلك الدراسات: شعر محمد بن عمار الأندلسي دراسة تحليلية أسلوبية، لـ محمد عبد الله سيدي محمد، وكذلك شعر ابن عمار الأندلسي دراسة موضوعية فنية، لـ بن عبد الرحمن سهام، وقد وجدت بعض الدراسات التي تناولت موضوع الانكسار، ومن أبرز تلك البحوث: الانكسار في شعر المتنبي – مقاربة نصية–، للدكتورة أمل طاهر محمد، والثاني بعنوان الانكسار النفسي عند الشعراء العرب في عصر ما قبل الإسلام، للـ أ.م. د. عارف عبد الله محمود الأحبابي، ومن الرسائل الجامعية التي تقترب من مفهوم الانكسار من ناحية العنوان وتختلف تماما من ناحية المضمون عن موضوع بحثنا، الهزيمة في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري، لـ بشير اعبيد. هذا فيما يخص موضوع (الانكسار) كـــ(فكرة)، إلا أن الجنبة التي اعتمدنا دراستها في بحثنا هذا مختلفة تماما عمَّا سبق تناوله، سواء من حيث الشاعر الذي اخترناه ليكون موضوع للدراسة، وكذلك من ناحية متن البحث، وهذا ما جعلني أفضل البحث في هذا الموضوع، لعلي أضيف شيئاً للمكتبة الأندلسية.

بواعـــــث الانكسار

١.الخـــــوف:

الخوفُ لغةً: << الفزعُ، خافه يخافُه خوفاً وخيفةً ومخافةً، وخوَّفَ الرجلَ إذا جعلَ فيه الخوفَ وخوَّفتَه: إذا جعلتَه يخافُ الناسَ>> [١] والخوف هو: << هو توقع مكروه عن أمارةٍ مظنونةٍ أو معلومةٍ>>[٢]

ويؤدي الشعور بالخوف إلى حالة من الانكسار ويؤكد علماء النفس ذلك: أنه يمثل<<أحد الانفعالات البدائية العنيفة يتملك المرء فيشله عن الحركة ويخمد نشاطه>>[٣].

ويُعّبر ابن عمار في شعره، عن ذلك الخوف أمام سلطة المعتمد وجبروته وهو من أعرف الناس به، فهو لا حول له ولا قوة أمام ولي نعمته، بعد أن فشلت خطته في الاستيلاء على مرسية، وتسبب باعتقال الرشيد ابن المعتمد، فتردَّد في العودة إليه وخاف مواجهة المعتمد فكتب إليه يلتمس منه العفو بشعور المنكسر الخائب: (٤)

أأسْلكُ قَصداً أمْ أعوجُ عن الرَّكْبِ ... فَقدْ صِرتُ من أمْري على مركبٍ صَعْب
وَأصْبَحتُ لا أدْري أفي البُعدِ راحتي ... فأجعلهُ حَظّي، أم الحـــــظُّ في القرْبِ
إذا انْقذتُ في أمْري مشَيْتُ مع الْهَوى ... وإنْ أتَعقَبْهُ نَكَصتُ على عَقبـــــــــي
أيُظْلِمُ في وَجْهي لذا قمرُ الدُّجـــــى ... وتَنْبو بكفّي صَفْحة الصّارمِ الْعضْـــــبِ

وإذا كان ابن عمّار قد نجا في هذه المرة، من عقوبة المعتمد بن عباد، وعاد إلى ما كان عليه لدى المعتمد من حفاوة وَودَّ، إلاّ أن ذلك لم يدم طويلاً، فقد أستبدَّ به الخوف حين وقع أسيراً بيد المعتمد، بعد خيانته له واستيلائه على مرسية وانفراده بالحكم عليها فضلاً عن هجاء المعتمد، فما كان من ابن عمار غير أن يتوقع من المعتمد أشد العقوبات، فأخذ منه الخوف مأخذه، فعبر عن ذلك الخوف بصريح العبارة(٥):

أخافُكَ لِلْحَقِّ الذي لكَ في دمـــي ... وَأرْجوكَ لِلحُبِّ الذي لكَ في قلبي
وكم قد فرَتْ يُمْناكَ بي من ضَريبةٍ ... ولا بُدَّ يَوْماً أنْ يُفـــلَ مِنْ غَرْبي
ولا بدَّ ما بيني وبيـــــنك من ثنا ... يُطبِّقُها ما بَيْنَ شَرْقٍ إلى غَـــربِ
وأعْلمُ أنَّ الْعفوَ مِنْكَ سَجيّـــــــةٌ ... فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ أنْ تُخفِّف مِـــنْ عتْبي
فلي حَسَناتٌ لوْ أمُـــــتُ ببَعْضِها ... إلى الدَّهرِ لمْ يَرتَعْ لِنائبةٍ سِـــرْبي

ولم ينسَ ابن عمار تذكير المعتمد بحسناته، فهو يرى نفسه صاحب الفضل الكبير على المعتمد في توسيع مملكته، بما يسديه له من مشورات ويحوك من مؤامرات.

كما عبَّر عن ذلك الخوف في أبيات كتبها في معتقلهِ بشقورة إلى المعتمد يقول فيها(٦):

واللهِ ما أدْري إذا ... قالوا: غَداً يَوْمَ اللِّـــقاءِ
ما أقتَل الحاليْنِ لي ... إنْ كانَ خَوْفي أو حَيائي

ويتردد ذكر الخوف في شعر ابن عمار، لكن في هذه المرة يخرج الخوف عن معناه المألوف السابق فيُعبِّر عن الحب: (٧)

أحَبَّك وُدّاً منْ يَخافُك طاعة وَأعْجَبُ شَيْءٍ خيفَة معها حُبُّ

٢.الغُرْبة والحنين:

الغُرْبة لغةً: << الغَرْب: الذهاب والتنحي عن الناس، وغَرُبَ عنه يَغْرُبُ غَرْباً، وغَرّب وأغْرَبَ، وغّربه وأَغْرَبَهُ: نحّاه، والغُرْبة والغَرْب: البعد والنوى>> (٨)

أما الحنين لغةً: هو << الشديد من البكاء والطرب، وهو الشوق وتوقان النفس، يقال: حنت الإبل: نزعت إلى أوطانها وأولادها، وقيل بأنه الصوت المتوجع>>(٩). ولا يبتعد المعنى الاصطلاحي عن المعنيين السابقين للغربة والحنين.

إذا كان التغير قرين الحياة، فلا بد أن نيأس من الثبات في كل شيء، فلا المكان الذي ينشأ فيه المرء باقٍ على حاله، ولا الصداقات كذلك، حتى إن الإنسان نفسه لا يبقى على حاله أبداً (١٠)، فما أن يتعلق الفرد بشيء وتألفه روحه حتى يضطره القَدر إلى فراقه، فيخلف ذلك انكساراً في نفس صاحبه، لا سيما في حياة شاعرنا ابن عمار الذي تَعرض للنفي والأسر وغُرب عن موطنه، فنجده يصور حنينه وشوقه لوطنه البعيد عنه، عندما نفاه المعتضد في سرقسطة وفرق بينه وبين الحياة الرغيدة التي كان يحييها في ظل المعتمد بن عباد، يقول: (١١)

طَوّى بيِّ عَرْضَ الْبيدِ فَوْقَ قَوائِمٍ تَوَهَّمْتني مِنْهُنَّ فَوْقَ قَوادِمِ

وَخَاض بيَ الظَّلْماء حتى حسِبْتُهُ لهُ مِرْبطٌ بَيْن النُّجُومِ الْعواتِمِ

ألا قَاتَل اللهُ الْجِياد فإنَّها نأتْ بي عَنْ أرْض الْعُلا والْمكارِمِ

أشِلْبٌ ولا تنْسابُ عبْرةُ مُشْفِقٍ وَحِمْصٌ ولا تعْتادُ زفرةُ نادِمِ!

كَساها الْحَيا بُرْد الشَّبابِ فإنَّها بلادٌ بها عَقّ الشّبابُ تَمائِمي

ذكرْتُ بها عهْد الصِّبا فكأنَّما قدحْتُ بنارِ الشَّوقِ بيْنَ الْحَيازِمِ

تظهر هذه الأبيات تحسر ابن عمار وندمه لتفريطه بتلك الحياة، فيعيش شعور المُغترب المُبعد عن وطنه، فيحن إلى ذكريات شبابه، ويتشوق الى أيام صباه، في منفاه. ويتعمق الإحساس بالغربة والحنين في نفسه، فنجده يوجه خطابه الى البرق ويكسبه خاصية السمع، يقول: (١٢)

يا بَرْقُ أدِّ رِسَالتي تَفْديكَ نَفْسي مِنْ رَسولِ

عَـرِّجْ بــ "شِلـــــبَ" مُحَيِّيـا ما شِئْتَ مِنْ تِلْكَ الطُّلول
وَالمـعْ علـى شُـرُفاتِ حمـصَ قرارةِ الشَّرَفِ الأثيـــــلِ

ويمثل الطلل رمزاً للعالم المفقود، حيث أصبحت شلب بالنسبة لابن عمار، أطلالاً يحن إليها، تعبيرا منه عن الضياع واللاعودة.

وعلى هذا المنوال يتعاظم عنده الشعور بالغربة، فيتحول الى فزع من دعوة الرحيل، ويمزجه بالمديح فيجعل من جبين ممدوحة المعتصم بن صمادح الشمس التي تضيء له الطريق، يقول: (١٣)

دَعَتْني الْمَطَايا للرَّحيل وَإِنَّني لأفْرَقُ مِنْ ذِكْرِ النَّوى والتَّفَـرُّق
وإنِّي إذا غُـرِّبْتُ عنْكَ فإنَّمَا جَبينُك شَمْسي والْمريَّة مَشْرِقـي
ولكِنْ سَآوي للرَّجاءِ وأجْتَزي بذِكْرِك حتى نَلْتَقي حَيْثُ نلْتَقَي

ونجده مرغماً على الرحيل في جميع أشعاره التي يعبر فيها عن غربته وحنينه، يقول: (١٤)

كَتَبْتَ مُسْتأذِنًا في الرَّحِـيل بعُذْر جِليّ لِهمّ دخـــــيل
وَلـمْ تَدْر أنَّ فِراق الْحيـاة ليسهل عند فِـــراق الْخليلِ
وَليـــسْ إلى قطْـــــعِ تِلْك السَّبيل دون موافقةٍ من سبيلِ
فإنِّي في المنعِ عيْنُ الْجواد وإنّي في السَّمْحِ عيْنُ البـخيلِ

لقد عانى الشاعر ابن عمار في غربته مما شكل عليه ضغطاً نفسياً في بيئة غير بيئته، ولم يتمكن من الانسجام مع مؤثراتها المؤذية، فقد ذاق مرارة الغربة وهو بعيد عن مدينته، فخلف ذلك الشعور بالهوان والانكسار.

وهكذا نرى أن الغربة التي فرضتها الظروف والحنين إلى الوطن، والتي عانى منها الشاعر ابن عمار، باعث ودافع كبير للشعور بالانكسار، فجسد ذلك في أشعاره.

وله أشعار في الشوق والحنين(١٥).

٣. الإنسان: العدو –الخصم

يمثل الإنسان (العدو – الخصم) باعثاً أساسياً ورئيساً من بواعث الانكسار في حياة ابن عمار، وسبباً مباشراً في تغير حال ابن عمار من الرفعة والعيش تحت ظل الملك المعتمد ابن

عباد إلى الأسر والسجن، حيث أجمعت المصادر أن القصيدة التي هجا ابن عمار فيها المعتمد وزوجته اعتماد الرميكية وأبناءهما، أنها كانت من إنشاء خصوم ابن عمار والحاقدين عليه منذ أيام عزه، وهذا ما أكده مصطفى الغديري جامع ديوان ابن عمار،[١٦] فبعد وصول هذه القصيدة بين يدي المعتمد انقلب حال ابن عمار، ولم يستطع استعادة المكانة التي كان يحظى بها عنده، وانتهى به الأمر الى السجن، بل أن قتل ابن عمار بيد المعتمد كان نتيجة الوشاية والتحريض من قبل أعداء ابن عمار وخصومه، حيث كاد المعتمد أن يعفو عنه، لولا تحريض الوشاة وهذا ما أكدته رواية مقتل ابن عمار[١٧].

ولهذا نجد ابن عمار يكثر في شعره من ذكر خصومه وأعدائه، وتبدو الروح المنكسرة في خطابه الموجه للمعتمد بن عباد، بعد أن أدرك تمكن أعدائه من إيغار صدر المعتمد عليه، وقد سيطر عليه الشعور بالظلم من الآخرين، فنراه يعزي استياء علاقته مع المعتمد وما وصل إليه حاله إليهم، يقول: [١٨]

أظُنُّ الذي بيني وبينكَ أذْهَبتْ حَلاوتهُ عنّي الرِّجــالُ الأخابثُ
تَنكَّرتَ، لا أنّي لِفَضْــلِك ناكر لديَّ ولا أنّي لِعَــهْدِكَ ناكــثُ
ولكِنْ ظُنونٌ ساعدتها نَمــائِمُ كَما ساعَدتْ مَثنى المثاني المثالثُ

يحاول ابن عمار أن يبرء نفسه أمام المعتمد، من التهم التي ألصقها به أعدائه وخصومه، ويشير إلى خبث سرائرهم، يقول: [١٩]

تــــسيرُ إلَيْنا ثمَّ عنَّا كأنَّها حــواسِدُ تمْشي بيْننا بالنَّمــائِمِ
وصحبةِ قوْمٍ لم يُهذِّب طِباعهُم لِــــقاءُ أديبٍ أوْ نــوادِرُ عالِمِ
صعاليكُ هامُوا بالْفــلا فتدرَّعُوا جُلودَ الأفاعي تَحْتَ بيضِ النَّعائم

يعاني ابن عمار صعوبة العيش، وجفاء الناس وجهلهم وما يحيط به من مؤامرات ودسائس، بين أناس سمتهم الغدر وعدم الوفاء، فنجده يتألم من سوء حاله، والتردي الذي يعيشه، ويجد أعدائه على الدوام تقف عائقاً أمام تطلعاته ومجده.

ويخشى هجراً طويلاً وغضباً متوقعاً من المعتمد، وهو في حاله هذه تحيط به المكائد، ويتعاظم شعوره بالظلم من الآخرين، وتسيطر عليه الروح المنكسرة، التي تضع كل آمالها بالنجاة بين يدي ولي نعمتها، في هيئة من الذل والمسكنة، ليتفادى الشماتة من أعدائه وخصومه، الذي يتربصون به الدوائر، يقول: [٢٠]

ونُبِّئْتُ إخوان الصّفاءِ تغــيَّروا وذمُّوا الرِّضى مِنْ عهْديَ المُتقادِمِ

لقدْ عتَبوا ظُلْماً على غيْرِ عَاتبٍ عَليْهِمْ ولاموا ضـــــلَّة غَيْرَ لائِمِ
ولو أنَّ عَفْواً مِنْ هُنالِكَ زارنـي لزُرْتُ وما عدْوُ الزَّمـــــان بدائمِ
فأورِدُ وُدِّي صَافِياً كُلَّ شَامِتٍ وأَلْبسُ حَمْـــدي ضَافِياً كُلَّ شَائِمِ
وأغْضي لِمنْ يلْقى بوجْهِ مُكارِهٍ حـــياءٌ فألقـــاهُ بوجْـــهِ مُكارِمِ

يتقلب ابن عمار بين بريق الأمل ومرارة اليأس، وكل ما يريده هو الخلاص من وضعه الحالي، ولو كان بالتّوسل، ليجسد لنا صورة الحالة التي كان يعيشها.

وعلى هذا المنوال تستمر سائر مفردات ابن عمار تستقي من نفس الروح المنكسرة دلالاتها، المعبرة عن تمكن الشعور بالظلم من أعدائه وخصومه، معبرا عن ذلك بصريح العبارة، يقول:(٢١)

جَمَحوا إلى ظُلْمي فسُسْتُ جِماحَهُمْ وَلقيتُ شِدَّتَهُمْ بلين قِيادي
واسْتَبْطَنوا حِقداً وَبيْنَ جوانِـــحي طبعٌ يسلُّ سخـائِمَ الأحْقادِ

ويعترف ابن عمار بذنبه، ويتكل على حلم المعتمد في العفو عنه، يقول: (٢٢)

وماذا عسى الواشونَ أنْ يَتَزَيَّدوا سوى أنَّ ذنْبي واضِحٌ مُتصحِّحُ
نعمْ لي ذنْبٌ غَيْر أنَّ لِحِلمِهِ صَفاةً يَزِلُّ الذَّنبُ عنها فيسفحُ

ويكرر ابن عمار التعريض بالوشاة، وفي هذه المرة يخصّ بالذكر حكام بلنسية، بني عبد العزيز، للخصومة والعداوة التي كانت بين الشاعر وبينهم، وقد صرحوا بالشماتة به، فالوشاة والأعداء يأملون عقابه، في حين هو يأمل عفو المعتمد وصفحه، يقول:(٢٣)

ولا تَلْتفِتْ رأيَ الوُشاةِ وقوْلـهُم << فكُلُّ إناءٍ بالذي فيهِ يَرْشـــحُ >> (٤)
سَيَأتيكَ في أمْري حديثٌ وقدْ أتى برَأي بني عبد العـــزيزِ مُوَشّحُ
وما ذاك إلاّ ما عَلِـــمتَ فإنَّني إذا تُبْتُ لا أنْفكُّ آســـو وَأجْرحُ
تَخَيَّلتهُمْ لا درَّ لله درُّهُـــــم! أشاروا تُجاهي بالشَّماتِ وصرَّحوا
وقَالوا سَيجْـــزيهِ فُلانٌ بذنبـــهِ فقلتُ وقد يَعفو فُلانٌ وَيَصـــفحُ

لقد أدت سوء العلاقة بين ابن عمار وأعدائه إلى تكبد الكثير من المعاناة التي أفسدت عليه حياته، وجعلته يعيش في غربة نفسية، فكانت باعثاً ودافعاً طبع أشعاره بطابع الانكسار، ولعل طمعه وكثرت ما كان يحوك من مؤامرات هو ما أوصله إلى هذا الحال.

٤.الفقر (الحاجة – المَنْحِ):

ورد في لسان العرب، الفقر: ضد الغنى، مثل الضعف، ورجل فقير من المال، وقد فقر، فهو فقير، والجمع فقراء، ويرى ابن السكيت: الفقير الذي له بلغة من العيش، وقال ابن الأعرابي: الفقير الذي لا شيء له، والفقر الحاجة، وفعله الافتقار، والنعت، فقير، ويروى عن خالد بن يزيد أنه قال: كأن الفقير أنما سمي فقيرا لزمانة تصيبه مع حاجة شديدة تمنعه الزمانة من التقلب في الكسب على نفسه فهذا هو الفقير. (٢٤)

ويشكل الفقر أزمة اجتماعية يعيشها الفرد، ويترتب عليها الشعور بالانكسار والتذلل لأصحاب الأمر، وصولاً الى الاستجداء بالشعر لدى الشعراء المغمورين، لا سيما بالنسبة لشاعرنا ابن عمار، إذ يرصد صلاح خالص هذه الظاهرة؛ قائلاً: << في أن أصل ابن عمار الطبقي وما كان يعانيه من فقر وعوز هما اللذان دفعاه إلى سلوك هذا السبيل في استجداء الأمير؛ ولو قارنا أسلوبه هذا وأسلوب ابن دراج وهو فقير مثله بأسلوب ابن زيدون مثلا وبغيره من الشعراء ذوي المراتب الاجتماعية الأكثر سمواً، لتبين الفرق واضح بين النفسيتين>> (٢٥)

ويأتي هذا النمط الانكساري في مديحه، وعادة ما يخصص ابن عمار الجزء الأخير من القصيدة؛ لاستدرار عطف الملك واستجدائه وكسب رضاه ونواله؛ ولم يتورع من الاستجداء الصريح والالحاح في طلب هبة الأمير مبيناً بوضوح أنه إنما يمدح ليحصل على الجزاء(٢٦)، وقد يأتي خفيّاً في ثنايا خطابه الشعري لا يفصح عنه الشاعر بشكل مباشر، وإنما يلمحه المتلقي من طرف خفي؛ ويصور لنا ابن عمار لهفته الى نوال الملك وجهده في ارضائه وجلب عطفه وأمله في أن تحظى أبياته القبول لدى الملك، يقول: (٢٧)

وإليكَ يا مَنصورُ قادتْ هِمَّتي ... بزمامِها جُرْدَ الْمَذاكي الضُّمّرا
مَدَّتْ سَنايكُها الْقوادِحُ للصَّفا ... مِرْطاً عَلى مَتْنِ الظَّلامِ مُعَصفَرا
يَجْعلنَ قِبْلَتَكَ الْبهيَّة قِبْلة ... ويَرِدْنَ ساحتَكَ الْبهيَّة مَشْعَرا
خُذْها إليْكَ وَرَوْضُها لك ناضِر ... أسْقيتهُ ماءَ النَّعيمِ فنوَّرا
نمَّقتُها وَشْياً بذِكْرِكَ مُذهَباً ... وَفتقتها مِسْكاً بحَمْدِكَ أذفَرا
مَنْ ذا يُنافِحُني وَذكرُكَ مندلٌ ... أوْردتُهُ من نارِ فِكْريَ مِجْمَرا
فلئِنْ وَجَدتَ نسيمَ حَمْدِيَ عاطِراً ... فَلقدْ وجَدتُ نسيمَ برِّكَ أعْطرا
وإليْكَها كالرَّوْض زارتهُ الصَّبا ... وحنا عليه الطَّلُّ حتى نوَّرا

إن هذه اللهفة وهذا التوسل والرجاء المنبعث من هذه الأبيات، المتينة التركيب، القوية البنيان، ذات قيمة أدبية كبيرة، فقد أجاد ابن عمار في التصور، وإرضاء غرور الممدوح، فستحق بعد هذه القصيدة أن يدخل اسمه في ديوان الشعراء ويصبح من الشعراء المنتمين للبلاط، الذين يحضون براتب شهري وأعطيات، وفي الوقت ذاته يلمس المتلقي حجم الخضوع والانكسار الذي يبديه الشاعر للممدوح، مصرحاً أنه يمدح لينال الجزاء.

ويجسد ابن عمار صورة ذهنية مختزنة، ينقلها لنا بصورة حسية مادية ملموسة، في مديحه، يقول: (٢٨)

أقسمتُ باسْمِ الْفضْلِ حتَّى شِمْتُهُ فرأيْتُـــه في بُرْدتيْـــهِ مُصَـــوَّرا
وَجَهلتُ مَعْنى الْـجودِ حَتّى زُرْتُهُ فقرأتُهُ في راحتيْـــــهِ مُفـــــسّرا

يصور لنا ابن عمار في هاتين البيتين اللذين يمدح بهما المعتضد ما يتحلى به من الكرم والجود وبسط اليد، وتمكن من تجسيدها في صورة حسية تراها العين وكأنما يلتمسها المتلقي، حيث أنتقل بهذه الصورة الاستعارية من المعنى المجرد الغائب في الذهن إلى معنى واضح ملموسة، فقد جعل الفضل صورة تُرى وكأنه يتحدث عن لوحة مصورة، وجعل الجود مادة ملموس تقرأ في يدي الممدوح، وفي ذلك إشارة واضحة لاستجداء الممدوح، والحصول على شيء من فيض كرمه، كما يصوره ابن عمار.

وقد يصل الشاعر إلى حد المبالغة في تجسيده صورة الكرم في ممدوحه، فالشاعر يخشى الغرق من الطوفان، بعد أن جعل من كرم الممدوح سحابة مثقلة بالأمطار، يقول: (٢٩)

كَيْفَ السَّبيلُ لِشُكرِ ما أوْليْتنا وندَاكَ أفْحَمَّ من أعَدَّ لِسَانا
حَمَّلْتْنا ثمرَ الأيادي مُفضِلاً أشْفِقْ فقدْ أثقلتنا أغْصانا
أمْطرْتَنا سُحْبَ الْمكارِمِ ثرَّةً أمْسِكْ فقدْ خَوَّفتنا الطُّوفانا

استخدم الشاعر الماء رمزاً للتعبير عن كرم ممدوحه، فالأمطار دليل الخير والعطاء، وكثيراً ما استخدمه الشعراء لنفس الغرض، فرسم هذه الصورة على وجه الخصوص منوط بـ << طرح العرب للكرم والكريم، من خلال الصور المائية في الأمثال تصوراً يجعل منه الغوث للجائعين والعون للمحتاجين ويجعل أرضه أرض غيث وماءه قريب المأتى لمن احتقر، فإذا اقتربت من دياره فلا عوز ولا بؤس فنعمه ظاهرة على الناس>> (٣٠) ويعقب ابن عمار بعد هذه الأبيات مباشرةً في ذات القصيدة على استجداء الملك وطلب نواله فيتبين للمتلقي غرضه من المدح، أنما هو الحاجة للحصول على المنح، يقول: (٣١)

يا أيُّها الملكُ الذي عهدي بهِ ... من كـــانَ ظَمْآناً إلى ظَمْآنا
ما لي يُعطلني زماني بعدمـا ... حلَّيتُ فيهِ بمدحكَ الأزمـانا
إنِّي تجرتُ ورأس مـالي حُبّكُمُ ... أيحلُّ لي أن أشتكي خُسرانا
بدِّدْ دُجى ليلي بأقمار الـــنَّدى ... فلقد بقيتُ بليلـها حَـيْرانا
وامنُن بتسريحي وصكٍّ يقتضي ... برئي ونُصـــحي للزمان أمَانا
واقبلْ إليكَ جوادَ شُكْري مُسْرجاً ... إنْ أنتَ أعْدَدْتَ النَّدى مَيْدانا

يضع الشاعر ابن عمار في هذه الأبيات نفسه بين يدي ممدوحه (الملك)، ويترك له حق التصرف فيه، في حالة من الخضوع والانكسار التام للممدوح، يجسدها في تلك الأبيات بعد أن تقدمها بمدح كرم الممدوح في صورة أظهرته طوفان من الكرم.

ويعترف ابن عمار بغزارة عطاء الممدوح، الذي نال منه شاعرنا الكثير، يقول: [٣٢]

تَبرَّعْتَ بالْمَعْروفِ قبْلَ سُؤالِهِ ... وَعُدتَ بما أوليتَ << والْعَوْدُ أحمدُ>>[٣٣]
فأثأقَ حَوْضي مِنْ نداكَ تبجُّسٌ ... ونمَّقَ رَوْضي مِنْ رِضاكَ تعهُّدُ
فإنْ أنا لمْ أشْكُرْكَ صادقَ نيَّةٍ ... تَقومُ عَليْها آيةُ النُّصْحِ تَعْضُدُ
فلا صَحَّ لي دينٌ ولا برَّ مَذْهَبٌ ... ولا كَرُمَتْ نفسي ولا طاب مَوْلِدُ

يجعل ابن عمار ممدوحه في قالب من المثالية، فيصله الى درجة الكامل، فلا مثيل له بالكرم، وغالباً ما يقترن مديحه كرم الممدوح بحالة من الخضوع والانكسار، تظهر جلية في تعبيره عن شكر ممدوحه، فيجرد نفسه في هذه المرة من الكرامة والدين والمذهب وطيب الولادة، إن هو لم يعطِ حق شكر العطايا التي ينالها من الملك، فلا يتورع عن الالحاح والاستجداء الصريح؛ ويستقي من الموروث العربي الثقافي لشهرت حاتم الطائي بالكرم، مثال لكرم بني عباد فقد جعلهم أكرم من بني طي الذين اشتهروا بالكرم، كناية عنه، يقول:[٣٤]

لهُ هزَّةٌ في الْجودِ مَعْتضديَّـةٌ ... تهُزُّ إلى التَّشتيتِ شمْل الدَّراهـمِ
سَمَا بأبيهِ ذِرْوةَ الشَّرفِ الذي ... أباطِحُهُ سَهْلُ النَّدى والْمكـــــارمِ
إذا نشرَتْ لخْمٌ بذكراهُ فخْرهـا ... طوتْ طيِّءٌ من خجْلةٍ ذِكْر حَاتـمِ
مَليكٌ سنِيُّ الْحالتيْنِ مُتيَّـــمٌ ... ببيض الأيادي أوْ بحُمرِ المَلاحـمِ

ويصف عطاء المعتضد بن عباد، وكرمه بمجامر ندّى، تفوح منها روائح الكرم، يقول:[٣٥]

وما هذِهِ الاشْعــارُ إلاّ مَجــامِرٌ تَضَوَّعُ فيهــا لِلنَّدى قِطَــعُ النَّدِّ
وكُنتَ نثرتَ الفضْــلَ فِيَّ وإنَّما نَثرتَ سقيط الطَّلِّ في ورقِ الوَرْدِ
وها أنا باغٍ من نداكَ بقــدرِ ما يُضافُ لِتَأميلي ويُعْزى إلى وُدِّي
فأقسمُ لوْ قسَّمْتَ جودكَ بيْننــا على قدرِ التَّأميل فُزْتُ بِهِ وَحدي
قنِعتُ بما عِنْدي من النِّعمِ التي يُفسِّرُها قوْلي: قنِعتُ بما عِنْدي

يلحظ المتلقي لمديح ابن عمار أنه يحصر مدحه على خصلة الكرم والجود، بشكل يطغى على ذكر خصال الممدوح الأُخرى، لأنه إنما يريد بمدحه الجزاء، كونه شاعراً بلاطياً، يستعطي من أولياء نعمته غير مبالٍ من أراقة ماء وجهه، فيبرز في حالة من الانكسار والخضوع.

٥.الزمن:

يمثل الزمن باعثاً من بواعث الانكسار في حياة ابن عمار جسدها في أشعاره حيث وجدناه يلقي باللَّوم عليه وينسب إليه الظلم، ويحمله مسؤوليه ما يحل به، فكان للزمن دور كبير في انكسار ابن عمار، << ولقد تجسّد الزمن عند الشعراء العرب بالدهر، فكان يرمز للزمن به>>، [٣٦] والدَّهْرُ كما يقول ابن منظور: هو <<الأمد الممدود، وقيل: الدَّهْرُ ألف سنة، والدَّهر: الزمان الطويل ومدة الحياة الدنيا>>[٣٧]، وقال الرّازي << الدَّهْرُ: الزمان وجمعه دهورٌ وقيل الدَّهْر الأبد>>[٣٨].

وقد تداخلت مفردات الزمن والدهر والأيام في قصائد الشعراء تداخلا كبيراً وكلها تصب في معنى واحد، هو أنه تلك القوة الضاغطة التي تغير مجرى حياتهم، وهذا ما نجده في شعر ابن عمار، فهو لا حول له ولا قوة تجاه ما تقضيه عليه أقدار الزمن.

وتبرز الروح المنكسرة في حديث ابن عمار عن الزمن فقد ألقت به الأقدار في أرض غير أرضه، ويصرح بقساوة الأيام عليه، وظلم الدهر له، بعد نفيه الى سرقسطة، وإبعاده عن شلب، التي عُرِفت بتقديرها واحترامها لأرباب العلم والأدب، حيث كان وزيراً للمعتمد فيها، في زمن أبيه المعتضد بن عباد، يقول: [٣٩]

وما حالُ من خلَّى بِلاد أعاربٍ وألقتْ بهِ الاقـدارُ أرْض أعاجِـــــمِ
ولكِنَّها الأيَّامُ غيرُ حَـــــوافلٍ بـــإرْبِ أريبٍ أو حزمـــةِ حـــــازِمِ
أريدُ حياةَ البيْنِ والبـــينُ قاتِلي وأرْجو انْتِصار الدَّهرِ، والدّهْرُ ظالِمـي

ولوْ أنَّ عَقواً من هُنـالِك زارني لزُرْتُ وما عـذْوُ الـــزَّمان بـدائِمِ
وَمَـا هُوَ إلا لثـــمُ كفِّ مُحمَّدِ وَتَمْكينُ كفّي من نواصِـي الْمظـــالم
إن اتَّفقتْ لي فالعـدُوُّ مُساعِدي على كُلِّ حالٍ والزَّمـــانُ مُسالِمـــي

يعبر ابن عمار عن معاناته من ضروب الدهر وما تجريه عليه الأقدار، بصورة المنكسر المهزوم أمامها، وقد أجاد في انتقاء الألفاظ التي بث فيها، حسراته وآلامه من الحدث المأساوي الذي حّل به، فأضحى ينظر للأمور بنظرة سوداوية وتشاؤم، بعد أن تذوق طعم النعيم تحت ظل المعتمد، وهو اليوم يعيش حياة مليئة بالعذاب والمعاناة. ويبقى الأمل في العودة لتلك الحياة قائم ولا شيء غير التوسل لديه، يقول: (٤٠)

وإنَّي إذا أنْصِفْتُ بَعدكَ خادمٌ لِدَهْري وكانَ الدَّهْرُ عِنْدكَ خادِمي
فنَرْجِعَ أيَّامٌ مَضَتْ وكأنَّها إذا امْتثلتها النَّفـــسُ، لذَّةُ حالِمِ

ويتحدث ابن عمار عن غدر الزمان قائلا: (٤١)

سَفـــرتُ لِيَرْجِـع هـذا مَعـي وَزيراً فَـــــلمْ أرَ إلاَّ أسيرا
وهَلْ يَمْلِكُ المَـــرْءُ من أمْرِهِ قبـــــيلاً فيُنْفِـذهُ أمْ دَبيـرا
هُـوَ القـدرُ الحـتْمُ يُعْمـي الْفتـى وإنْ كانَ، بالدَّهْرِ طبّاً بصيرا

وكثيراً ما اشتكى الشعراء من ظلم الدهر وشططه وتصرفه في شؤون الخَلق، من العزة للذلة، ومن الغنى للفقر، كذلك كثر وصفهم له بالغدر والخيانة، وهذا ما عبر عنده ابن عمار، فبالرغم من كل الخطط والمؤامرات التي كان يديرها ابن عمار، والتي ساهمة بتوسيط رقعة مملكة بني عباد، ورفعة مكانة ابن عمار بين الدويلات، إلا أنه انتهى به المطاف أسيراً، وينسب ابن عمار ما حلّ به الى القدر، (هو القدر الحتم يعمي الفتى)، وإن كان ذو تجارب وحنكة.

٦.المرأة:

تستقطب المرأة اهتمام الشعراء، ويكون لها النصيب الأوفر من أشعارهم، وغالباً ما يتمحور حول معاناة الشاعر وشكواه، فكانت المرأة مصدراً للألم والحزن ويبدو الشاعر أمامها منكسراً ذليلاً، مُعلناً انهزامه أمام ذلك الكائن الناعم اللطيف المرأة، فنجدها تتمنع وترفض وذلك له أثر كبير في استثارة عواطف الشعراء، فقد اكتست تجربة الشعراء مع المرأة الأسى والحرمان

لأسباب مختلفة، وسواء كانت تجربته معها حقيقية أم غير حقيقية، فالنتيجة واحدة، هي أن المرأة مصدر انكسار الشاعر وخضوعه.

وقد مثلت المرأة في حياة شاعرنا ابن عمار باعثاً من بواعث الانكسار، حين تمكن الحب منه، وسكنت المحبوبة في قلبه، فأضحى يعاني مما أصابه من الشوق والكدر لجفاء الحبيبة، فيتوسل إليها أن تترفق به، في صورة من صور الانكسار، إلى أن يتوجه بشكواه لله (عز وجل)، بعد أن وجد إنه لم يجنِ من حبها إلا النحيب، يقول: (٤٢)

أشاقْكَ بَـرْقٌ أمْ جَفـاكَ حبيـبٌ ... فليْلُكَ فضْفاضُ الرِّداءِ رَحيـبُ
ألا إنَّ نَـجْمَ الصُّبْحِ فيه مُـحَيِّرٌ ... تَحَيُّر محْبـوبٍ عَليْهِ رَقيـبُ
أما وَنَسـيمِ الرَّوْض زارَ نَسيمَها ... فأهْدَتْهُما نَحْو المَشـوقِ جَنوبُ
فيا رَبّة القـرْطِ اللعوب تَرَفـقي ... فَحَسْبُكِ فالحِلْمُ الرَّسوبُ لعـوبُ
أطاعَكِ قلْـبي لم يَخُـنْكِ أمانة ... ولا نَيْلَ إلا زَفـرةٌ وَنَحـيبُ
إلى اللهِ أشْكو أنَّ مالكِ في دَمي ... شريكٌ، ومالي في هَواكِ نَصيبُ
أتَدْرينَ مَنْ كلفتِ عـيْنَيْكِ قَتْلهُ ... وَقلْتِ: فتىً لا يستقيدُ غريـبُ

فيعبر ابن عمار عن انكساره بالفراغ الكبير الذي تركته المحبوبة في داخلهِ، وإنه أضحى قتيلها. وتوضح لنا الأبيات القادمة شدة تعلق ابن عمار بمحبوبته، وهيامه بها، لدرجة أضحت رؤيتها أقصى أمانيه، غير مُبالٍ بتعذيبها، فهو منكسر منهزم أمامها، يقول (٤٣)

نَفْسي، وإنْ عَذَّبْتِها، تَهْـواكِ ... ويهُزُّها طَرَبٌ إلى لُقْياكِ
عَجَباً لِهَذا الْوَصْلِ أصبْح بَيْنَنا ... مُتعذِّراً وَمُنَايَ فيه مُنـاكِ
ما بالُ قَلْبي حينَ رامَكِ لمْ يَنَلْ ... ولقدْ تَرومُكِ مُقْلتي فَتَـرَاكِ
اللهُ أعلـمُ ما أزورُ لِحـاجةٍ ... ذاكَ المحَلَّ لِغَيْرِ أنْ ألقاكِ
ليْتَ الرَّقيبَ، إذا التقيْنا، لمْ يَكُنْ ... فأنالَ رِيّاً مِنْ لذيذِ لمـاكِ

فنرى إن انكسار ابن عمار كان من جانبين، إحداهما يمثل شدة تمكن حبها من قلبه، وما خلفه ذلك الحب من العذاب، والجانب الآخر يمثل عين الرقيب التي تحول بينه وبينها.

وفي بعض الأحيان يتخذ الشاعر من المرأة رمزاً للتعبير عن معاناته من عقبات الحياة المختلفة، إذ ليس من الضروري أن يكون قد خاض تجربة حقيقية مع المرأة، فنجد ابن عمار

يستمرئ الالم ويتلذذ به، ويستروح الشكوى ويحن لها، ويعبر عنها مستسلماً مُعلناً انكساره بصريح العبارة، فيجعل نفسه عبد لذلك الحب مستعذب إضراره به، يقول:(٤٤)

جاهُ الهَوى، فاسْتَشْعِروهُ، عارُهُ ... ونَعيمُهُ، فاسْتَعْذِبوهُ، أوارُهُ!

لا تَطْلُبوا في الْحُبِّ عِزّا إنَّما ... عُبْدانُهُ في حُكْمِهِ أحْـرارُهُ

قالوا: أضَرَّ بك الهَوى فأجبْتُهُمْ ... يا حَبَّذاهُ وحبَّـذا إضْرارُهُ

قلْبي هُو اخْتار السَّقام لِجِسْمِهِ ... زيَّاً، فخلُّوهُ ومـــا يَخْتارُهُ

عَيَّرْتُموني بالنُّحول وإنَّـــــما ... شَرفُ المُهنَّدِ أنْ تَرِقَّ شِفارهُ

إنْ يَهْنِهِ أنّي أضَعْتُ لِحُبِّـــهِ ... قَلْبي وَذاعَتْ عِنْدَهُ أسْـــرارُهُ

فلْيَهْن قَلبي أنْ شَكَاهُ وِشاحُهُ ... لِسِوارِهِ فاقْتَصَّ مِنهُ سِـــوارُهُ!

وهذه الأبيات كان قد توجه بها ابن عمار، للمعتضد بن عباد، متأخذ من المرأة رمز للتعبير عن خضوعه وتذلله.

وبهذا نجد أن ابن عمار أعلن للملأ انكساره وخضوعه التام أمام المرأة، وإن هيامه وتعلقه بها جعله تحت سيطرتها تارك لها الحكم في شأنه، وهذا يفسر شدة افتقاره لها.

٧.السجن:

يعد السجن من أصعب التجارب التي يمكن أن تمر في حياة أيَّ إنسان، لما تحمله تلك التجربة من فقدان الحرية والشعور بالحرمان والذل، حيث يقبع خلف القضبان وتسلب إرادته ويصبح لا حول له ولا قوة، فالسجن هو: << المكان الذي يحبس فيه الأشخاص وتقيد حريتهم في حدوده>>(٤٥) فيكون السجن من أصدق بواعث الانكسار والرضوخ والاستسلام، لا سيما إذا كان السَّجان ذا سلطة نافذة كالمعتمد بن عباد، فلا يجد غير الشعر وسيلة للتعبير عن انكساره النفسي وخضوعه لسجانه، في أمل الإفراج عنه، من ذلك المكان الذي يوصف بأنه: << مكان ضيق موحش يؤذي النفس، وثيق الإغلاق على نزلائه فضلا عن انقطاع السجناء عن العالم الخارجي، وراء القضبان>>(٤٦) ولأن الحرية هي أثمن شيء في الوجود.

فيصور لنا ابن عمار مأساته في السجن بعد أن تبدلت به الحال ويقارن بين حاله هذه وما كان عليه، وهو الذي لطال ما تنعم في القصور، وذاق طعم العز والجاه والرفعة، ليغدو منكسراً مكتفياً بالرضوخ والاستسلام للأمر الواقع، يقول: (٤٧)

كُنْتُ أشْدو عَلَيْكَ يا دَوْحَة المجْدِ ... ويا رَوْضَة النَّدى والجودِ

إذْ جَناحي نَدٍ بظِلِّكَ طَـــــلقٌ ... وَلِساني رَطبٌ على التَّغْريدِ

وَأنا الْيَومَ تَحْتَ ظِلِّ عُقـــــابٍ لقوَةٍ مُخوِتِ الجَناحِ صيودِ
أتَّقيها بناظِـــــرٍ خافِـــــقِ اللَّحْظِ، مَروعٍ وَخاطِرٍ مَزْؤودِ

لقد مضى زمن الحرية، التي كان يرى نفسه فيها كالطير المغرد في ظل المعتمد بن عباد، ليتحول به الحال تحت ظل العقاب، في صورة متحركة رسم فيها انقضاض العقاب على الطائر، ويدل الفعل الماضي (كنت) على الانقطاع والتيقن من حدوث الفعل الممزوج بدلالات الحاضر (وأنا اليوم)، ليدل بها على ثنائية التحول بين الماضي والحاضر.

وتطول مدة سجن ابن عمار وتتعمق مشاعر الانكسار في داخله فنجده يستعين بالبرق الخاطف، فالبرق يعرف عنه سرعة زواله، ليحمل رسالة الشاعر المحملة بالأمل في معاودة نعيم حياته السابقة، وهو يقف مهزوما أما محنته، متوجهاً بها إلى الرشيد بن المعتمد، يقول فيها: (٤٨)

قـــــلْ لِبَرقِ الْغَمامِ مِطوِ البَريدِ قاصداً بالسَّلامِ قصْـــر الرَّشيدِ
فَتقـــلَّبْ في جـــــوِّهِ كفُـــؤادي وَتَناثَرْ في صـــحنِهِ كَالفَـــريدِ
وانجذِبْ في صَلاصِلِ الرَّعْد تَحْكي ضجَّتي في سَلاسِلي وقيـــودي
فإذا ما اجْتَلاكَ أوْ قـــــال: ماذا قُلتُ: إنِّي رَسولُ بَعْض العَبـيدِ
بَعضِ مَنْ أبْعدتْهُ عَنكَ اللَّيالـــي فاجْتَنى طاعَة المُـــحبِّ البَعـــيدِ

تضطرب أحاسيس ابن عمار ويكتنف مشاعره الألم والانكسار وتتعمق المأساة بداخله، بعد أن << سيق إلى سجنه في مكان حقير في جانب من جوانب (قصر المبارك) الذي شهد أعز أيامه مع المعتمد فبقي ينتظر مصيره المجهول>> (٤٩) ليسمع المتلقي لأبياته صخب صوت سلاسله وقيوده، وهو صوت شبيه بصوت الرعد يثير الرعب لينقل لنا صورة الحالة التي كان عليها، ويضيف عليها ابن عمار دلالات الهوان والانكسار المشتقة من (العبيد).

وقال وهو في سجن (شقورة)، وقد استدعى نورة يستنظف بها فتعذرت عليه، فاستدعى موسى فأتى بها: (٥٠)

بُؤْسى شَقورة عِنْدي أرْبَى على كُلِّ بُوسى
فَقدتُ " هَارُونَ" فيها فظَلْت أطْلُبُ "موسى"

وهذه الصورة مستوحاة من القرآن الكريم، استقى منها صورة تجسد حالته عندما ضاق به الحال في سجن شقورة وتعذره من طلب مساعدته.

خاتمـــــــــة

رصد البحث من خلال تناوله لبواعث الانكسار عند الشاعر محمد بن عمار فاعلية هذه البواعث في إثارة انكساره، وقد تعددت هذه البواعث، وتشعبت، وكان لكل منها أثره البالغ والكبير، بحيث أنتج للأدب العربي روائع شعرية خالدة، وقد توقفنا عند كل محطة من هذه البواعث، لننتهي بصورة متكاملة كونت لنا حياة الشاعر ابن عمار، وشخصيته، فكان الخوف من السلطة الحاكمة في وقته؛ أحدها، فضلاً عن ما تعرض له من نفي وتشريد فعانى، الغربة والحنين، وكان الإنسان من عدو وخصم باعثاً آخر، وأخذ الفقر والحاجة مأخذه من الشاعر، وللركون خلف القضبان في السجن، باعث خلف على إثره أجود الأشعار وأروعها، وكان للزمن وتقلباته وما يجره الدهر من آلام وآهات، باعث آخر، وشكلت المرأة باعثاً للانكسار من نوع آخر، فقد كان يطلبه الشاعر ويستريح له.

ولا ندعي أن طريق البحث كان سهلا معبدا فقد واجهتنا صعوبات، من أبرزها قلة الدراسات التي تناولت موضوع الانكسار، وصعوبة الحصول على ديوان الشاعر محمد بن عمار الأندلسي لجامعه مصطفى الغديري، فقد استغرقت عدة أشهر للحصول عليه، من المغرب بمساعدة الأخت الفاضلة (حبيبة أبو عامر)، التي عرفتها مصادفة، بعد أن بحثت عنه في أغلب المكتبات العراقية ولم أجده، فهو غير متوفر فيها إلى الآن.

الهوامـــــش:

---

(١)لسان العرب، ابن منظور، ج٢، ص ١٢٩٠، مادة (خوف).

(٢)المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ج١، ص١٦١؛ صور الخوف في القرن الثالث الهجري، علي رضوان، دكتوراه، ص١.

(٣)موسوعة علم النفس، أسعد رزق، ص١٢٨.

(٤)شعر محمد بن عمار الاندلسي، مصطفى الغديري، ص٢٩.

(٥)شعر محمد بن عمار الاندلسي، مصطفى الغديري، ص٢٨-٢٩.

(٦)المصدر نفسه، ص٢٣.

(٧)شعر محمد بن عمار الاندلسي، مصطفى الغديري، ص٢٧.

(٨)لسان العرب، ابن منظور، (مادة غَرْبَ)، ج١، ص٦٣٩.

(٩)لسان العرب، (مادة حنن)، ج ١٣، ص ١٢٩

(١٠)ينظر: الدهر في الشعر الأندلسي (دراسة في حركة المعنى)، د. لؤي علي خليل، ص١٣٣.

(١١)شعر محمد بن عمار الاندلسي، مصطفى الغديري، ص٩٩.

(١٢)المصدر نفسه، ص٩١.

(١٣)المصدر نفسه، ص١٢١

(١٤)المصدر نفسه، ص٨٦.

(١٥)ينظر: المصدر نفسه، ص٦٢-٦٣، ص٣٩-٤٠، ص٥٤، ص٩٠، ص١٠٧.

(١٦)ينظر: الحلة السيراء، ج٢، ص١٥٧؛ شعر محمد بن عمار الاندلسي، مصطفى الغديري، ص١٦.

(١٧)ينظر: المعجب، المراكشي، ص٩٦.

(١٨)شعر محمد بن عمار الاندلسي، مصطفى الغديري، ص٣٥-٣٦.

(١٩)المصدر نفسه، ص١٠٠-١٠١.

(٢٠)المصدر نفسه، ص١٠٢.

(٢١)المصدر نفسه، ص٤٩.

(٢٢)المصدر نفسه، ص٣٨.

(٢٣)المصدر نفسه، ص٣٩.

(٢٤)من الأمثال المأثورة: مجمع الأمثال للميداني: ج٢، ص١٦٢، رقم: ٣١٥٩؛ تح: محيي الدين عبد الحميد؛ نقلا عن ديوان ابن عمار، ص٣٩.

(٢٥)ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (مادة فقر)، ج٥، ص٦٠.

(٢٦)محمد بن عمار الأندلسي: دراسة أدبية تاريخية، صلاح خالص، ص٤٣.

(٢٧)المصدر نفسه، ص٤٢-٤٣

(٢٨)شعر محمد بن عمار الاندلسي، مصطفى الغديري، ص٦٩.

(٢٩)المصدر نفسه، ص٦٧.

(٣٠)المصدر نفسه، ص١١١.

(٣١)رمز الماء في الأدب الجاهلي، ثناء أنس الوجود، ص٨٠؛ شعر ابن عمار الأندلسي دراسة موضوعية فنية، بن عبد الرحمن سهام، ص٧٥.

(٣٢)شعر محمد بن عمار الاندلسي، مصطفى الغديري، ص١١١.

(٣٣)المصدر نفسه، ٤٣.

(٣٤)مجمع الأمثال، ج٢، ص٣٤، نقلاً عن ديوان ابن عمار ص٤٣.

(٣٥)شعر محمد بن عمار الاندلسي، مصطفى الغديري، ص١٠٣.

(٣٦)المصدر نفسه، ص ٥٤-٥٥.

(٣٧)الانكسار في شعر المتنبي، د. أمل طاهر محمد نصير، ص٢٠.

(٣٨)لسان العرب، ابن منظور، ج٤، ص٢٩٢ (مادة دهر).

(٣٩)مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرّازي، ص١٣٣.

(٤٠)شعر محمد بن عمار الاندلسي، مصطفى الغديري، ص١٠١-١٠٢

(٤١)المصدر نفسه، ص١٠٦-١٠٧.

(٤٢)المصدر نفسه، ص٦٤.

(٤٣)المصدر نفسه، ص٢٤-٢٥-٢٦.

(٤٤)المصدر نفسه، ص٨٤-٨٥.

(٤٥)المصدر نفسه، ص٦١-٦٢-٦٣.

(٤٦)دراسات في الأدب الأندلسي، محمد مجيد السعيد، ص١٩٥؛ الهزيمة في الشعر الاندلسي، بشير اعبيد ص٤٠.

(٤٧)تجربة السجن في الشعر الأندلسي، رشا عبد الله الخطيب، ص٩٥.

(٤٨)شعر محمد بن عمار الاندلسي، مصطفى الغديري، ص٥٥-٥٦.

(٤٩)المصدر نفسه، ص٥٥.

(٥٠)المصدر نفسه، ص١٢٢

المصادر والمراجع:

١.ابن الابار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي)، الحلّة السيراء، حققه وعلق على حواشيه: حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م.

٢.ابن منظور: (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم)، لسان العرب، تحقيق عبد الله الكبير وآخرين، (د ط)، دار المعارف، مصر، ١٩٧٩م.

٣.أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، القسم الثاني، مجلد١، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٨١م.

٤.أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، (د ط)، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٢م.

٥.أبي محمد عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦.

٦.أبي محمد عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م.

٧.أسعد رزق، موسوعة علم النفس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د ط)، بيروت، ١٩٨٧م.

٨. ثناء أنس الوجود، رمز الماء في الأدب الجاهلي، (د ط)، دار قباء، مصر، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٩.د. لؤي علي خليل، الدهر في الشعر الأندلسي (دراسة في حركة المعنى)، ط١، أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات، ٢٠١٠م.

١٠.الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد كيلاني، (د ط)، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٦١م.

١١.رشا عبد الله الخطيب، تجربة السجن في الشعر الأندلسي، ط١، المجمع الثقافي الإماراتي، أبو ظبي، ١٩٩٩م.

١٢.محمد بن أبي بكر الرّازي، مختار الصحاح، قدم له وعلق عليه، يحيى مراد، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٣.محمد مجيد السعيد، دراسات في الأدب الأندلسي، ط١، منشورات جامعة سبها، ليبيا، ٢٠٠١م.
١٤.مصطفى الغديري، شعر محمد بن عمار الاندلسي، ط١، مطبعة شمس، المغرب، ٢٠٠١م.
١٥.ياقوت الحمودي، معجم البلدان، (د ط)، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

المجلات والدوريات:

١.نصير، أمل طاهر محمد، الانكسار في شعر المتنبي، الأردن، عمان، جامعة اليرموك، كلية الآداب، مجلة الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٦، مجلد ١٤، ال عدد٢.

الرسائل والأطاريح:

١.علي رضوان، صور الخوف في القرن الثالث الهجري، دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، ٢٠٠٩م.
٢.بشير اعبيد، الهزيمة في الشعر الأندلسي في القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير، جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر، ٢٠٠٨م.
٣.بن عبد الرحمن سهام، شعر ابن عمار الأندلسي دراسة موضوعية فنية، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ٢٠٠٩م.

Sources and References:

1.Ibn Al-Abbar (Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah Al-Qudai), Al-Hillah Al-Sirra, he verified and commented on his footnotes: Hussein Mu'nis, second Edition, Dar Al Ma'arif, Cairo, 1986.
2.Ibn Manzoor: (Jamal al-Din Abu al-Fadl Muhammad ibn Makram), Lisan al-Arab, Tahqayyat Abdullah al-Kabir and others, Dar al-Ma'arif, Egypt, 1979.
3.Abu al-Hasan Ali bin Bassam, The Ammunition for the Benefits of the People of the Island, Edited by: Ihsan Abbas, Section Two, Volume 1, Arab Book House, Libya, 1981 AD.
4.Abu al-Fadl Ahmad bin Muhammad al-Nisaburi al-Midani, The Proverbs Complex, verified by: Mohi al-Din Abd al-Hamid, Dar al-Fikr, Beirut, 1972.
5.Abu Muhammad Abd al-Wahid al-Marrakchi, who admires the summary of Morocco's news, explained and cared for it: Salah El-Din Al-Hawari, first Edition, Modern Library, Beirut, 2006.
6.Abu Muhammad Abd al-Wahid al-Marrakchi, who admires summarizing Morocco's news, explained and cared for it: Salah El-Din Al-Hawari, first Edition, Modern Library, Beirut, 2006 AD.
7.Asaad Rizk, Encyclopedia of Psychology, the Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1987 AD.
8.The Praise of Anas Al-Wujud, the symbol of water in pre-Islamic literature, Dar Quba, Egypt, Cairo, 2000 AD.
9.Dr. Luay Ali Khalil, Al-Dahr in Andalusian Poetry (A Study of the Meaning Movement), first Edition, Abu Dhabi for Culture and Heritage, UAE, 2010.
10.Ragheb Al-Isfahani, Vocabulary in Gharib Al-Qur'an, Edited by Muhammad Kilani, Mustafa Al-Halabi Press, Cairo, 1961 AD.

11.Rasha Abdullah Al-Khatib, The Prison Experience in Andalusian Poetry, 1st Edition, Emirati Cultural Foundation, Abu Dhabi, 1999 AD.
12.Muhammad Ibn Abi Bakr Al-Razi, Mukhtar of As-Sahhah, presented and commented on by Yahya Murad, first Edition, Al-Mukhtar Foundation, Cairo, 2007 AD.
13.Muhammad Majeed Al-Saeed, Studies in Andalusian Literature, first Edition, Sebha University Publications, Libya, 2001 AD.
14.Mustafa Al-Ghadiri, Poetry of Muhammad Ibn Ammar Al-Andalusi, first Edition, Shams Press, Morocco, 2001 AD.
15.Yaqout Al-Hamoudi, Dictionary of the Countries, House of Revival of Heritage, Beirut, Lebanon, 1979 AD.

Magazines and periodicals:
1. Naseer, Amal Taher Muhammad, Refraction in Al-Mutanabi Poetry, Jordan, Amman, Yarmouk University, College of Arts, Journal of the Islamic University, 2006, Volume 14, Number 2.

Letters and Theses:
1.Ali Radwan, Pictures of Fear in the Third Century AH, Ph.D., Faculty of Arts, Zagazig University, Egypt, 2009 AD.
2.Bashir Ebeid, The Defeat in Andalusian Poetry in the Fifth Century AH, Master Thesis, University of Muhammad Khudair, Biskra, Algeria, 2008 AD.
3.Ben Abd al-Rahman Siham, Ibn Ammar al-Andalusi's poetry, an artistic objective study, an MA thesis, Mohamed Khaider University, Biskra, Algeria, 2009 AD.